مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية
Journal of Social Sciences and Humanities
المجلد: 15/ العـدد: 02 (2025)،
ص 888 - 904

تأثيرات العقيدة الإسلامية في زخارف الفنون المعدنية خلال العهد العثماني في ضوء نماذج محفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة

Influences of the Islamic Faith in the Ornament of the Metal Arts during the Ottoman era In the light of models preserved in the National Museum of Antiquities and Islamic Arts in Algiers

[1-] نادية بوكرسي*

[1-] أستاذة متخصصة مكلفة بالهندسة البيداغوجية المعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بقالمة

nadia.boukersi@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/16 تاريخ القبول: 2025/11/13 تاريخ النشر: 2025/12/15

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى إبراز تأثيرات العقيدة الاسلامية في زخارف الفنون التطبيقية في العهد العثماني، من خلال نماذج مختارة من الفنون المعدنية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار والفنون الإسلامية بالجزائر العاصمة، وتبيان مهارة الفنان المسلم في تجسيد الأفكار المستوحاة من عقيدته وتنفيذها على منتجاته الفنية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي وظف في وصف الزخارف المنفذة على الفنون المعدنية، كما مزجت بينه وبين المنهج التحليلي نظرا لما تضمنته النماذج المختارة من عناصر زخرفية ذات دلالات عقائدية تتطلب التحليل، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها أن امتثال الفنان المسلم لعقيدته دفعه إلى زخرفة منتجاته الفنية بزخارف مستمدة معانيها من هذه العقيدة، وقد حظيت الزخارف النباتية والهندسية بالنصيب الأوفر نظرا لما تمثله عناصرها من دلالات مرتبطة بالدين الإسلامي، وما يمثله أيضا الامتداد والتوسع اللانهائي واللامحدود لهذه الزخارف، والذي يشير إلى الارتباط بالخلود والأبدية للإرادة الربانية وليس للقيمة الإنسانية المادية الفانية، كما خلصت الدراسة إلى أن قلة الزخارف الحيوانية في الفنون المدروسة نابع من ابتعاد الفنان

* المؤلف المرسل: نادية بوكرسي ، الإيميل: nadia.boukersi@univ-constantine2.dz

CC BY NC

المسلم عن تصوير الكائنات الحية نظرا لكراهية ذلك في دينه، وإن وجدت ضمن زخارفه فهي مقتصرة على حيوانات مرتبطة بعقيدته.

كلمات مفتاحية: تأثيرات العقيدة الإسلامية، الفنون التطبيقية، الفنون المعدنية، الزخارف، العهد العثماني.

Abstract:

This study seeks to demonstrate the influences of the Islamic faith in the Ornament of applied arts in the Ottoman era, through selected models of metal arts preserved in the National Museum of Antiquities and Islamic Arts in Algiers. This study relied on the descriptive approach that was employed in describing the Ornament executed on metal arts, and mixed it with the analytical method due to the decorative elements included in the selected models with ideological connotations that require analysis. The study concluded with a set of results, including that the Muslim artist's compliance with his faith led him to decorate his artistic products with decorations deriving their meanings from this faith. Floral and geometric decorations had the largest share due to the connotations their elements represent related to the Islamic religion. The study also concluded that the lack of decorations Animalism in the studied arts stems from the Muslim artist's avoidance of depicting living creatures due to the hatred of that in his religion, and if they are found among his decorations, they are limited to animals related to his faith. .

Keywords: Influences of the Islamic Faith, Applied Arts, Metal Arts, Ottoman era, Ornament.

Résumé:

Cette étude vise à démontrer les influences de la foi islamique dans les décorations des arts appliqués à l'époque ottomane, à travers une sélection de modèles d'arts métalliques conservés au Musée national des antiquités et des arts islamiques d'Alger, Cette étude adopte l'approche descriptive qui était employée pour décrire les décorations exécutées sur les arts métalliques, L'étude s'est également appuyée sur la méthode analytique en raison des éléments décoratifs inclus dans les modèles sélectionnés ayant une signification

idéologique qui nécessitent une analyse. L'étude conclut avec un ensemble de résultats, parmi lesquels le fait que l'adhésion de l'artiste musulman à sa foi l'a amené à décorer ses produits artistiques avec des décorations dérivant leurs significations de cette foi. Les décorations florales et géométriques ont eu la plus grande part en raison des connotations que leurs éléments représentent liées. à la religion islamique. L'étude a également conclu que le manque de décorations L'animalisme dans les arts étudiés provient du fait que l'artiste musulman évite de représenter des créatures vivantes en raison de la haine de sa religion, et si elles se trouvent parmi ses décorations, elles sont limité aux animaux liés à sa foi.

Mots clés : Influences de la foi islamique, Arts appliqués, Arts du métal, Décorations, Ere ottomane .

- **مقدمة**

تعتبر الزخارف من سمات الفن الإسلامي، وتحتل فيه مكانة متفردة لما تتضمنه من أغراض جمالية ووظيفية وتعبيرية، وقد نفذت على العمائر والفنون التطبيقية على حد سواء، وتعد الفنون المعدنية من الفنون التطبيقية التي حُلّيت بزخارف بديعة، ولم تخل في الغالب أي تحفة معدنية من أنواع الزخارف المختلفة، فقد زينت الحلي وأدوات الزينة، وأواني الأكل والشراب وأدوات الدفاع من سيوف وبنادق وغيرها، بتصاميم زخرفية متنوعة، وبدى تفرد الزخرفة الإسلامية وتميزها عن زخارف الحضارات السابقة للحضارة الإسلامية بعد أن بدأت الزخرفة الإسلامية تتبنى أسلوبا خاصا بها، يختلف عن زخارف الحضارات السابقة وإن كانت استلهمت من فنونها بعض الأساليب الفنية ثم طورتها مع مراعاة بعض الاعتبارات، أهمها عقيدة الفنان المسلم الت تقوم على الإيمان الجازم والتصديق التام والمطلق بدين الله تعالى وبوحدانية الخالق عز وجل.

لذلك راح الفنان المسلم في العهد العثماني يزين منتجاته الفنية بعناصر زخرفية ذات مدلولات مستوحاة من عقيدته، مثلما فعل مع المصنوعات المعدنية التي أصبحت بعد ذلك من أهم الفنون التطبيقية التي حُلّيت بزخارف غاية في الجمال والإتقان، وتحتفظ المتاحف الجزائرية ولاسيما منها المتحف الوطني للآثار والفنون الاسلامية بالجزائر بنماذج من التحف المعدنية التي زين بعضها بزخارف لها علاقة بالمعتقد الديني للفنان المسلم.

من هذا المنطلق ولمعالجة هذا الموضوع نطرح الإشكالية التالية: ماهي مظاهر تأثير العقيدة الإسلامية في الزخارف التي نفذت على الفنون المعدنية خلال العهد العثماني؟

للإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي الذي وظف في وصف العناصر الزخرفية المتنوعة المنفذة على الفنون المعدنية، كما مزجت بينه وبين المنهج التحليلي نظرا لما تضمنته النماذج المختارة من عناصر زخرفية ذات دلالات عقائدية تتطلب التحليل.

قبل ذلك يجب الإشارة إلى أن الزخرفة الإسلامية التي هي أرقى الفنون الإسلامية، والقائمة على قواعد أساسية كالتوازن، والتناظر، والتكرار، تنقسم إلى أنواع مختلفة أهمها: الزخارف النباتية، والهندسية، والكتابية، والحيوانية، والمعمارية، وهي التي استطعنا أن نتلمس تأثيرات العقيدة الإسلامية في تنفيذها على الفنون المعدنية موضوع الدراسة.

1. تأثيرات العقيدة الإسلامية في الزخارف النباتية

الزخرفة النباتية هي تلك الزخارف المستمدة من العناصر النباتية الموجودة في الطبيعة، كالأزهار، والثمار، والأشجار، والسيقان، والأوراق، وغيرها من النباتات، سواء نفذت هذه العناصر النباتية بشكلها الطبيعي أو حُوّرت عنه، وقد كانت الزخارف النباتية من أهم الزخارف التي استخدمت في فنون الحضارات السابقة على الإسلام، غير أن دورها تعاظم في الفن الإسلامي تعاظما غير مسبوق لاعتبارات يتصل بعضها بالموقف الديني (ياسين ع.،2002، ص 845)، إذ نجد أن الفنان المسلم في كثير من الأحيان قد نفذ هذه الزخارف متأثرا بعقيدته الدينية، أي أنه زين منتجاته الفنية بزخارف نباتية لها علاقة بالعقيدة الإسلامية ومن أهم النباتات التي وظفها نذكر التالي:

1.1الأزهار

لقد اشتدت عناية المسلمين بالجمال في كل تفاصيل حياتهم وتأثروا بفنونه التي شاهدوها في البلدان الأخرى، منها فن إنشاء البساتين والولع بعالم الأزهار والورود، وكان التعبير عنه بأساليب شتى، تجمع بين تقدير الزهور كتجلّ للنعم الإلهية، ومصدر للتسبيح الدائم، قال سبحانه وتعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (سورة الجمعة: الآية 01) وبين توظيفها في تعبيرات مبتكرة تضفي لمسة الإبداع على العطاء الإسلامي (خيبش،د.ت) ، وقد كان العثمانيون أكثر الشعوب الإسلامية براعة في هذا الميدان، إذ ولع بعض سلاطينهم بعالم الأزهار والورود فأنشأوا لذلك الحدائق الجميلة وزرعوا منها الأنواع الكثيرة، وجسدوا هذه الأزهار في الزخارف المنفذة على العمائر والفنون التطبيقية، منها:

1.1.1زهرة اللالة

هذه الزهرة استخدمها العثمانيون بكثرة في موضوعاتهم الزخرفية في القرن الثاني عشر الهجري(12ه) الثامن عشر الميلادي(18م) لاسيما خلال حكم السلطان أحمد الثالث، حتى أصبح عصره يعرف في تاريخ الزخرفة التركية باسم عصر اللالة (ماهر، 1977، ص ص 77، 79)، فقد كان هذا السلطان يعتني بالحدائق عناية واضحة وبزهرة اللالة بشكل خاص، إذ كانت من أحب الأزهار إلى نفسه ونفوس العثمانيين الذين أكثروا من زراعتها خصوصا في عهده ، حيث شجع الناس على ذلك، حتى أصبح

لها في حدائق إسطنبول أنواع كثيرة، وقد كانت تعقد المسابقات بين هواة الزهور، وتصرف المكافآت السخية لمن ينتج أحسن الأنواع من زهرة اللالة، كما تتجلى عناية الدولة بهذه الزهرة في تشكيل مجلس عرف بمجلس الزهور كان يشرف على زراعتها، ويعمل على حمايتها من تقلبات الجو، وينظم حفلات ليلية تضاء فيها حقول هذه الزهرة بمصابيح صغيرة (مرزوق، 1987، ص ص 53- 54) وتتصدر زهرة اللالة قائمة الأزهار المنفذة ضمن الزخارف الزهرية حيث نفذت على أواني وأدوات معدنية مختلفة، خاصة أواني الطعام.(اللوحة رقم 01 (أ، ب)).

هذه المكانة المتميزة لزهرة اللالة في العهد العثماني مردّها إلى المدلولات الضمنية التي تحملها هذه الزهرة وهي عديدة، غير أنها نابعة من مشكاة واحدة هي العقيدة الإسلامية، فالعناية بهذه الزهرة ليس بسبب شكلها الجميل فحسب بل لأن حروف اسمها اللام، والألف، واللام، والهاء، هي نفس حروف اسم الجلالة "الله"، كما أن حروف كلمة "لاله" هي نفس حروف كلمة "هلال"، وهذا الأخير هو الرمز الذي ينقشه الأتراك على أعلامهم وعلى كل ما يتصل بمظهرهم الرسمي (مرزوق، 1987، ص 54) .

2.1.1. زهرة الرمان

يطلق على زهرة الرمان اسم" الجلنار" (الوردي، د.ت.، ص 74)، وهي ذات أصول ساسانية (عبد الفتاح، 2010، ص 154)، لونها أحمر، ولها مكانة خاصة في الزخرفة الإسلامية لذلك كان لها الحظوة ضمن التصاميم الزخرفية التي جسدها الفنان المسلم في الفترة المدروسة على منتجاته الفنية (اللوحة رقم 01 (أ، ج)).

من المؤكد أن اهتمام الفنان المسلم بها نابع من ثمرة الرمان ذاتها التي تعد من بين الفواكه التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فهي مثلا ذكرت في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ،كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُواْ حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ، وَلاَ تُسْرِفُواْ، إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (سورة الأنعام: الآية 142) وفي قوله عز وجل ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (سورة الرحمن: الآية 67)، وبهذا يمكن القول إن مدلول ثمرة الرمان المرتبط بالجنة التي هي مبتغى كل مسلم، يتعدى إلى أزهارها، لذلك راح يوظفها في منتجاته الفنية، سواء كانت أزهارا أو ثمارا، الأمر ذاته فيما تعلق بالأزهار المشكلة باقة ورد أو المنبثقة من المزهرية، إذ أن نمو وانبعاث التفريعات والسيقان النباتية من الزهرية تعبير فني عن صورة الجنة في ذهن الفنان وتجسيد للآيات التي تصورها، وهي ظاهرة دأب عليها الفنان المسلم منذ فترة مبكرة، مما يؤدي إلى القول إن مضامين الزخارف الزهرية في معظمها مرتبطة بالمعتقد الديني للفنان المسلم (بوكرسي، 2022، ص 352).

هكذا ظهر تأثير العقيدة الإسلامية في الزخارف النباتية من خلال تنفيذ أزهار معينة لها مضامين ترتبط بهذه العقيدة، مثل زهرتي اللالة والرمان، فقد نفذتا بشكل منفرد أو ضمن باقة زهور أو داخل مزهرية، كما نفذتا ضمن ما يعرف بالرقش أو الأرابيسك أو التوشيح العربي (زخرفة الرومي في الفن

العثماني)، ولم يكن هذا النوع من الزخرفة مجرد عناصر نباتية تتفرع منها أغصان ومراوح نخيلية وأزهار ولفات حلزونية في موجات متشابهة ومتكررة وليس لها مثيل في الطبيعة، أو مجرد زخرفة جمالية نفذها الفنان المسلم لملأ الفراغ والابتعاد عن تمثيل الطبيعة، وإنما كانت تحمل مضامين وتعبيرات قوية توحي دائما بفكرة النمو المستمر ، إذ لا تُعرف حدودها ونهاياتها في اللوحة الفنية وكأن الفنان المسلم أراد التعبير عن وحدانية الله وأزليته وأبديته وبديع خلقه (الصبيحاوي، 2018، ص358)، فقد بدى هذا الأسلوب الزخرفي في مظاهر الالحاح للوصول إلى الوجود الحقيقي أو المطلق الأبدي، ويمكن ملاحظة مظاهر الروحانية في الدين والفن بمقارنة الذكر في الدين مع التكرار والوميض في الرقش، ففي الذكر يكرر المؤمن عبارة واحدة هي" الله هو"، مئات المرات حتى يفقد وعيه ويتجرد من غلافه المادي كي يغيب في نشوة الاتصال بالله، أما في الفن فان هذا السعي وراء الجوهر الخالد أو الحق يتجلى في صورتين، صورة أفقية تظهر على شكل التكرار وتبدو في الرقش اللين، وصورة مركزية تظهر على شكل وميض متناوب، وتبدو بشكل خاص في الجامات ذات التخطيطات الهندسية المستقيمة التي تسمى (الخيط) (بهنسي، 1998، ص 85)، هذه الزخرفة التي هي الأخرى نموذج فريد ومتميز من الزخارف الإسلامية خضعت في تنفيذها أيضا لتأثير تعاليم العقيدة الإسلامية وهو التأثير الذي سنتناوله لاحقا.

2.1 الأشجار

تعتبر الأشجار من العناصر النباتية التي استعملت كعنصر زخرفي في الفنون المعدنية في العهد العثماني، وقد كان النصيب الأوفر لشجرتي السرو والنخيل، فهما الشجرتان الأكثر تجسيدا في زخرفة الفنون التطبيقية بشكل عام والفنون المعدنية بشكل خاص .

1.2.1 شجرة النخيل

تعد شجرة النخيل من بين أنواع الزخارف النباتية التي جُسّدت في الفن الإسلامي، وقد كان النخيل في مقدمة المزروعات العربية، كما نفذ على العديد من الفنون العربية القديمة، باعتباره من نباتات البيئة العربية، ثم زادت العناية والاهتمام بتمثيله بعد ذلك نظرا لذكره في القرآن الكريم (ياسين ع.، 2002، ص 845)، وقد ظهرت شجرة النخيل في الزخارف المنفذة على الفنون المعدنية خلال العهد العثماني بقوة حيث اتسمت بالتنوع ودقة التنفيذ، وقد ظهرت على التحف المدروسة مقرونة في الغالب بشجرة السرو (اللوحة رقم01(د، ه)).

لشجرة النخيل معنى ديني خاص عند الأتراك وغيرهم من المسلمين، فهم يعتبرونها من أشجار الجنة وهي رمز الكفاف (ماهر، 1977، ص75)، وذكرت في القرآن الكريم في آيات كثيرة كقوله تعالى ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (سورة الكهف: الآية32)، وفي قوله عز وجل ﴿فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ (سورة مريم: الآية 22)، وفي قوله تعالى ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (سورة مريم: الآية 24)، وقد ورد ذكر للنخلة في الحديث الشريف: "حدثنا آدمُ، حدثنا شعبةُ، حدّثنا

مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَضْرَاءَ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَلَا يَتَحَاتُّ"، فَقَالَ الْقَوْمُ: هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، هِيَ شَجَرَةُ كَذَا، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ هِيَ النَّخْلَةُ وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ فَاسْتَحْيَيْتُ ،فَقَالَ: "هِيَ النَّخْلَةُ " (العيني، 2001،ص 260).

2.2.1. شجرة السرو

شجرة السرو من الأشجار التي تغرس في الجبانات كي تغطي رائحتها النفاذة على الروائح الضارة المنبعثة من الجثث (ماهر، 1977، ص 75)، وقد صُمّمت هذه الشجرة محوّرة بأشكال مختلفة، ونفذت بكثرة على المصنوعات المعدنية خاصة على الأواني المستعملة في الحياة اليومية (اللوحة رقم01(د، و)).

لقد كان لشجرة السرو بشكل عام في الفكر الاسلامي مكانة خاصة، ذلك أنها ترمز إلى دلالتين أساسيتين هما الفكر والعقل، إذ يرمز جذعها إلى مصدر العلم، وترمز الأغصان إلى الكليات، أما ثمارها فهي رمز إلى النتائج الحتمية المحصل عليها من التفكير والعلم (شعباني، 2010، ص 192)، هذه الشجرة المرتبطة بالخلود عند العثمانيين لدوام خضرتها طوال السنة، يذكرهم ارتفاعها الشاهق كالمئذنة، بالآذان من ناحية، وبصعود الروح إلى بارئها من ناحية أخرى، وهي عند الصوفية لها دلالات واضحة، ولعل تضمين أشعارهم إياها يرجع إلى ارتفاعها الشاهق الذي يعتقد الصوفي أنه يرفعه من عالم المادة إلى ربه، وهذه الشجرة هي التي تصعد به (ياسين ع، 2006، ص 121).

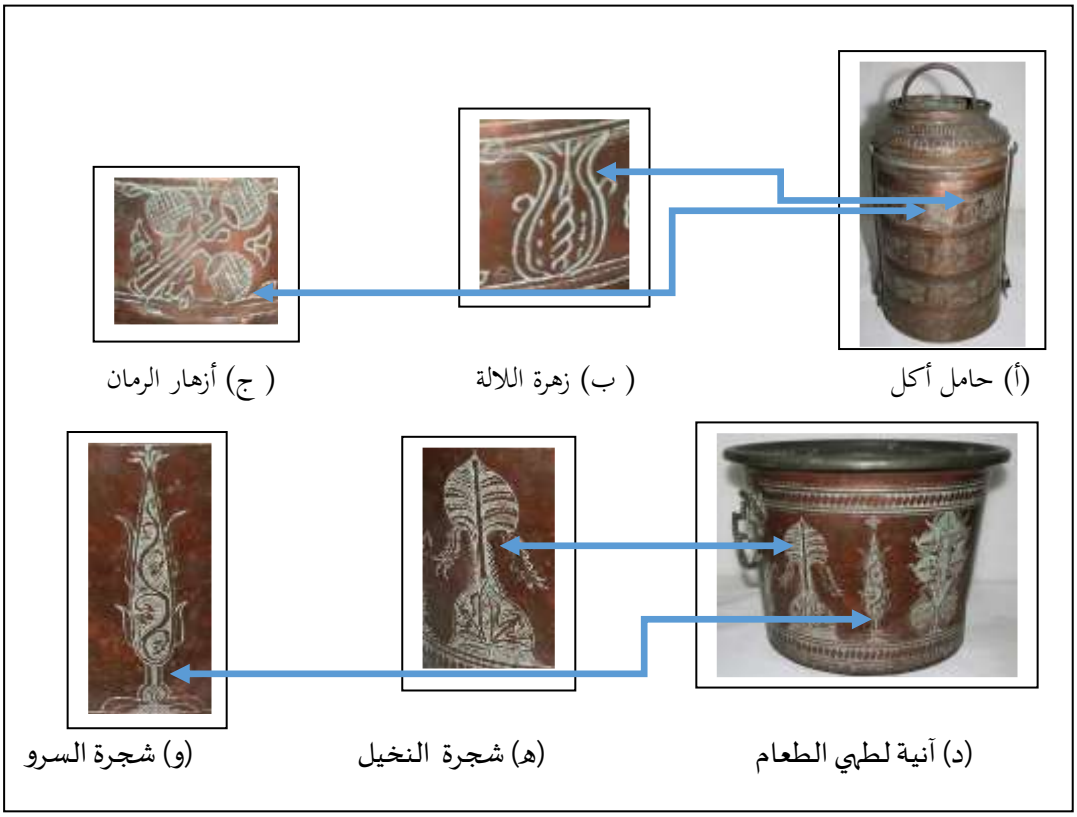

اللوحة رقم 1: زخارف نباتية منفذة على أواني الطعام **المصدر:** المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلامية

2. تأثيرات العقيدة الإسلامية في الزخارف الهندسية

تعتبر الزخارف الهندسية التي تعتمد على استخدام الأشكال الهندسية المختلفة، من مظاهر الوحدة في الفنون الإسلامية التي ورثتها من الفنون السابقة لها، إلا أنها سرعان ما تطورت على يد الفنان المسلم الذي تعهدها بالتطوير والتغيير وابتدع أشكالا جديدة لم تكن موجودة في الحضارات السابقة (أحمد، 2006، ص32) وأبرز العناصر الزخرفية الهندسية التي نفذت على النماذج المدروسة هي:

1.2 الخط

الخط هو الأثر الناتج عن تحرك نقطة وتلاصق نقاط مع بعضها (الدرايسة و عدلي ، 2014، ص 34)، وظهر هذا الخط في أوضاع مختلفة: عمودية، وأفقية، ومتوازية، ومنحنية، ومتعرجة، ومنكسرة، وكان عنصرا أساسيا في التصاميم الزخرفية المجسدة في العمارة والفنون التطبيقية على حد سواء، وقد نفذ على معظم التحف المدروسة (اللوحة رقم 02(أ، ب، ج، د)).

إن وظيفة الخط الهندسي هي تحديد مساحات تتكون منها حشوات، ويغلب أن تشكل هذه الحشوات أشكالا نجمية أو أشكالا مضلعة ذات زوايا أو دوائر وهذه الخطوط تعطي إحساسا بالحركة الصارمة ذات العزم الأكيد، فإذا كان الخط الطياش يتيح للمشاهد المتابعة بسرعة ويكاد أحيانا من جراء سرعته أن يغيب عن نظره، فإن الخط الهندسي يسير به على مهل، وهذه هي الحركة المقتبسة من المشهد القرآني (الدرايسة و عدلي ، 2014، ص ص 48- 49)، والخط في الفن الإسلامي نجده خطا متحررا ولا نهائي، مكوّنا من وحدات هندسية وعناصر نباتية، في ترابط بين الخطوط والفراغ من حولها بشكل تكراري هندسي، يتماشى مع فكرة الخلق في الدين الإسلامي، التي تبتعد تماما عن الصدف أو الفوضى، مع تأكيد التكرار الذي يعبر بشكل مثالي عن فكرة العودة الأبدية إلى الله في نهاية الأمر (عابدين، 2019)، وهذا التكرار نجده في معظم التحف موضوع الدراسة إن لم نقل كلها، وهو التكرار الذي يشعر حقيقة المتتبع للزخارف الإسلامية بأنها غير متناهية، وقد يتخيل استمراريتها وإن انتهت فعليا عند حدود التصميم الزخرفي.

2.2 الدائرة

إن الدائرة هي أحد العناصر الزخرفية الهامة في الزخرفة الإسلامية، فقد استطاع الفنان المسلم أن يستخرج من الدائرة العديد من الأشكال الهندسية المتنوعة، كالمثلث، والمربع، والأشكال النجمية المختلفة منها المثمن والمسدس، وتكون هذه الدائرة في الغالب مقرونة بأشكال هندسية أخرى كأن تكون محيطة بهذه الأشكال (اللوحة رقم02(و)) أو مُحاطة بها (اللوحة رقم02(ح)).

إن توظيف الشكل الدائري في الزخارف يرجع حتما إلى ما يمثله هذا الشكل الهندسي في فكر المسلم من بعد روحي، فهو يتعبد تحت سماء صافية واسعة، تكتمل مساحتها الفنية من دائرية الشمس نهارا

والقمر ليلا، وهذا البعد الكمالي والروحي للدائرة جعلها المنظم والبنية الشبكية التحتية الأساسية للزخرفة الإسلامية التي تشكل العلاقات لتحافظ على التناسق والتناسب وفق نظام روحي متكامل (العواوده، 2009، ص 17)، وهي الشكل الذي يرسمه المسلمون في تراصهم عند طوافهم حول الكعبة المشرفة وفي توجههم في صلاتهم نحو الكعبة أيضا (نصر، 2002، ص 52)، وهي رمز للوسطية نظراً لتساوي أبعاد محيطها عن المركز، وتمثل الوسطية منهجا في أفعال الرسول عليه الصلاة والسلام، وهي تعني العدل والاعتدال والموازنة (حلس، د.ت)، وجاء في القرآن الكريم ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ (سورة البقرة: الآية 142). فلعل هذه المعاني التي ترتبط بتعاليم العقيدة الإسلامية هي التي دفعت الفنان المسلم إلى تنفيذها بقوة في غالب منتجاته الفنية .

3.2 المربع

هو شكل هندسي يتكون من أربعة أضلاع متساوية، نفذه الفنان المسلم على بعض التحف المدروسة (اللوحة رقم 02(هـ، و)، ومما لا شك فيه أن ارتباط مضمونه بعقيدة المسلم كما هو الأمر بالنسبة للدائرة مثلما ذكرنا سلفا، كان وراء تنفيذه على الزخارف الإسلامية، حيث يرمز المربع من خلال تساوي أضلاعه إلى العدل والاستقرار والكمال والثبات، والكعبة كمقطع مربع يرمز إلى الكمال والتوازن والرسوخ، هي أول بيت وضع للناس، وهي البيت العتيق الراسخ بأمر الله في المكان، ويذهب البعض إلى أن مربع الكعبة كشكل هندسي يتردد في أفنية المباني الإسلامية ويعكس صورة المعبد المكعب في الجنة (حلس، د.ت).

4.2. الأشكال النجمية

تعتبر الأشكال النجمية أحد العناصر الزخرفية الهندسية البديعة في الفن الإسلامي والتي يمكن الحصول عليها بتقسيم محيط الدائرة بطرق مختلفة، حيث من هذا التقسيم يتم الحصول على النجمة الخماسية، والسداسية والثمانية، وغيرها من النجوم متعددة الرؤوس، وتعد النجمة السداسية أبرز هذه النجوم التي نفذت على التحف المدروسة. (اللوحة رقم 02(ز، ح)).

إن تنفيذ هذه النجوم ضمن الزخارف الإسلامية هو دليل على ارتباط المسلم بالسماء، إذ أنها ذكرت في آيات قرآنية عديدة كقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ (سورة الأنعام: الآية 98) وقوله عز وجل ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ (سورة الطور : الآية47)، وفي القرآن الكريم سورة سميت بالنجم واستهلها الله تعالى بقوله ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (سورة النجم: الآية01)، كما أنه لكل شكل نجمي معنى يرتبط بعقيدة الفنان المسلم، فعلى سبيل المثال الشكل النجمي الخماسي يرمز إلى مرتكزات الإسلام الخمسة(الشهادتان، إقام الصلاة، صوم رمضان ،إيتاء الزكاة، حج البيت) ، والشكل النجمي الثماني هو ناتج عن اندماج مربعين ويعبر عن رمزية السماء و الأرض (برواق، 2012، ص 241) .

وبهذا يتضح أن الأشكال الزخرفية الهندسية التي نفذها الفنان المسلم على منتجاته الفنية لم تكن منفذة بصورة اعتباطية بل إن لكل شكل منها معنى خاص يتماشى مع العقيدة التي يعتنقها، وهي أكثر الزخارف التي تجلى فيه التجريد الذي هو سمة من سمات الفن الإسلامي.

اللوحة رقم 2: زخارف هندسية منفذة على تحف معدنية **المصدر:** المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية

3. تأثيرات العقيدة الإسلامية على الزخرفة الكتابية

الزخارف الكتابية هي زخارف قوامها الخط، وقد ساعد في تجسيد هذه الزخارف في الفنون الإسلامية ليونة الحرف العربي وسهولة تشكيله على هيئة زخرفية، فزخرفت العمائر ومختلف التحف الإسلامية بالكتابة لتجميلها من جهة ولتسجيل تاريخها من جهة أخرى (هادي، 1990، ص 58) كما توضحه اللوحة رقم 03 (أ، ب)، غير أن التحفة الموضحة في هذه اللوحة لم تتضمن كتابة تسجيلية فحسب بل تضمنت عبارة" **الواثق برب الناس**" وهذه العبارة توحي بالتأثير القوي للعقيدة الإسلامية في الزخارف المنفذة من طرف الفنان المسلم، وبهذا فإن الخط لم يستخدم كعنصر زخرفي فحسب، ولم يوثق لتاريخ الصنع، بل تضمن أحيانا معان ودلالات مرتبطة بعقيدة الفنان المسلم .

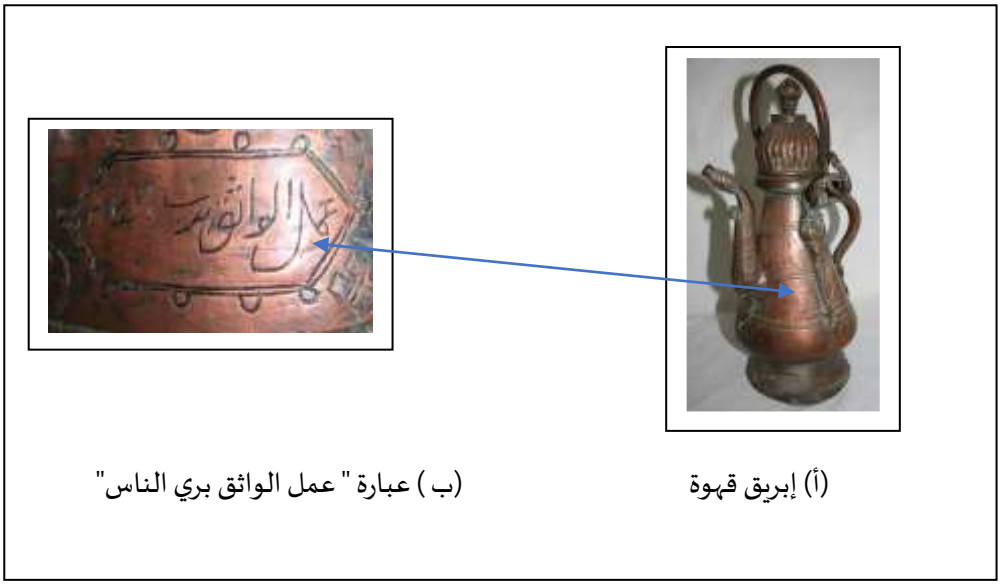

(أ) إبريق قهوة (ب) عبارة " عمل الواثق بري الناس"

اللوحة رقم 3: زخارف كتابية منفذة على إبريق **المصدر:** المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلامية

4. تأثيرات العقيدة الإسلامية في الزخارف الحيوانية

الزخارف الحيوانية هي تلك الزخارف التي تعتمد على العناصر الحيوانية، إذ استخدمها الفنان المسلم بشكل محور تفاديا لمحاكاة خلق الله، ولم تجسد الزخارف الحيوانية بكثرة في الفنون الإسلامية، وقد كان توظيفها على التحف المدروسة قليل بالمقارنة مع الزخارف النباتية والهندسية، وقد اقتصرت في الغالب على الطيور والأسماك.

1.4 الطيور

الطيور من العناصر الزخرفية المهمة في الزخرفة الحيوانية في الفن الإسلامي، وتعد من الحيوانات التي نفذت بكثرة على التحف المدروسة، إذا نجدها غالبا ما تزين المكحلة، والمكحلة آنية توضع فيها مادة الكحل التي تزين بها النساء عيونهن (اللوحة رقم 04(أ، ب))، ولم يكن رسم الفنان المسلم للحيوانات بهدف الزخرفة أو التجميل فحسب أو مجرد ملأ فراغ على التحفة، بل رسمها لأنها ذكرت في القرآن الكريم، فهو يقرأ الآيات القرآنية التي تتحدث عن خلق الله تعالى للطير وقدرته في الخلق (المعطي، 2003، ص 256)، ومن الطيور التي وظفت في الزخارف الحيوانية طائر الهدهد، وهو الطائر الذي ذكر باسمه في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (سورة النمل: الآية 20).

2.4. الأسماك

تعتبر الأسماك من عناصر الزخرفة الحيوانية التي استخدمت – إلى جانب الطيور-في التحف المعدنية، وقد استعمل الفنان المسلم السمك كعنصر زخرفي لاعتقاده بأنه يرمز إلى التكاثر والخير، ولقد ظهرت السمكة كعنصر زخرفي في الفن العثماني داخل إطار، تتوسط أشكال نباتية عبارة عن أزهار وفروع ملتوية أو في حركة سباحة في الماء (طيان، 2011، ص 251)(اللوحة رقم04(ج، د)) .

كما أنه إلى جانب الاعتقاد بأن السمكة رمز للتكاثر والخير فإنه يمكن القول أيضا أن توظيف الأسماك في الزخارف نابع من تلك المشاهد القرآنية، مثلما هو الشأن في قوله عز وجل ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (سورة الكهف: الآية 62) ، وقوله تعالى ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (سورة الصافات: الآية 142)

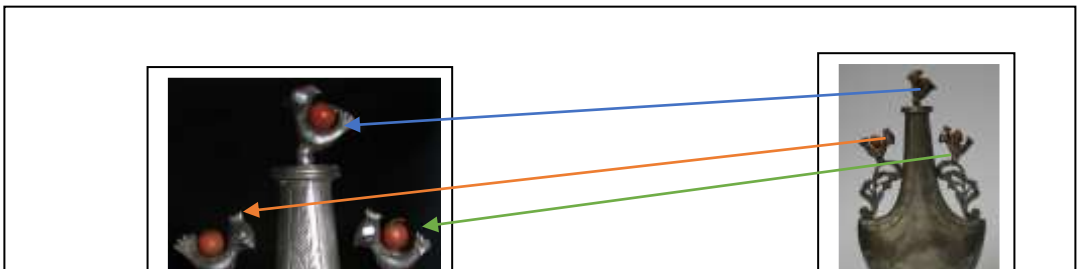

اللوحة رقم 4: زخارف حيوانية منفذة على مكحلة وطاسة **المصدر:** المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية

5. تأثيرات العقيدة الإسلامية في الزخارف المعمارية

لم تخل الزخارف المنفذة على التحف موضوع الدراسة من بعض الزخارف المعمارية، لقد عدّ المسجد عنصرا هاما من عناصر العمارة الاسلامية لذلك حرص الفنان المسلم على تجسيده على الكثير من الفنون التطبيقية، مثل الفنون المعدنية موضوع الدراسة (اللوحة رقم 05(أ، ب)) ونفذ هذا المسجد ذو الطراز العثماني بشكل متناوب مع زخارف لشجرة السرو والنخيل.

لقد ركز الفنان في الزخارف المعمارية على تجسيد الجوامع ذات القبة المركزية الكبيرة والمحاطة بقباب صغيرة، هذه القبة تعلوها مآذن قلمية وهي عناصر معمارية مصمّمة وفق الطراز العثماني، وللقبة رمزية، فهي توحي من الخارج وكأنها متجهة نحو الأسفل إلى تواضع المؤمن بين يدي ربه، وتعطي من الداخل انطباعًا عكسيًا يعبر عن التصاعد والحركة الرأسية نحو الأعلى، وبهذا فهي رمز لقبة السماء العليا التي ترنو نحوها الأبصار، وتتحرك باتجاهها القلوب، في مزيج من الأمل والخوف والحب والإجلال (سالم ع.، 2014).

أما المئذنة في نظر المتلقي المؤمن فهي باستطالتها وتطاولها إشارة إلى من يدبر هذا الكون نحو السماء، وبتقسيمها إلى عدة أقسام تفصلها شرفات تتناقص في الطول كلما ارتفعنا إلى أعلى، فهي تجذب نظره إلى أقصى حد ممكن وتصب في وجدانه الإحساس بجلال المبنى ورفعته (جبلاوي ك.، 2009، ص 99).

اللوحة رقم 5: زخارف معمارية منفذة على صينية **المصدر:** المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلامية

الخاتمة

لقد تطرقت هذه الدراسة إلى موضوع تأثير العقيدة الإسلامية في زخارف الفنون المعدنية خلال العهد العثماني، محاولة الإحاطة بأهم مظاهر تأثير عقيدة الفنان المسلم في الزخارف النباتية، والهندسية، والكتابية، والحيوانية، والمعمارية، التي نفذها على منتجاته الفنية، وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، من أبرزها:

-أن مظاهر تأثير العقيدة الإسلامية تجلت بالدرجة الأولى في الزخارف النباتية والهندسية ثم تلتها بالدرجة الثانية باقي الزخارف (الكتابية والحيوانية والمعمارية) ، حيث حظيت الزخارف النباتية والهندسية بالنصيب الأوفر في الزخارف المنفذة على الفنون المعدنية، نظرا لما تمثله عناصرها من دلالات مرتبطة بالدين الإسلامي، وما يمثله أيضا الامتداد والتوسع اللانهائي واللامحدود لهذه الزخارف وإن انتهت بشكل وضعي مادي، والذي يشير إلى الارتباط بالخلود والأبدية للإرادة الربانية، وليس للقيمة الإنسانية المادية الفانية.

-أن قلة الزخارف الحيوانية في الفنون المدروسة نابع من ابتعاد الفنان المسلم عن تصوير الكائنات الحية نظرا لكراهية ذلك في دينه، وإن وجدت ضمن زخارفه فهي مقتصرة على حيوانات مرتبطة بعقيدته، مثل الطيور والأسماك التي لها مضامين مرتبطة بمعتقد هذا الفنان.

-أن الزخارف المنفذة على الفنون المعدنية توحي بأن الفنان المسلم حاول قدر الإمكان أن يبتعد عن محاكاة خلق الله، بل إنه راح يعبر من خلال تكرار الأشكال الزخرفية التي تبعث في المشاهد الإحساس بشعور لامتناهي عن التوحيد الذي هو جوهر الدين الإسلامي.

قائمة المراجع والمصادر:

1) القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
2) ابن الوردي. (د.ت.)، منافع النبات والثمار والبقول، والفواكه والخضروات والرياحين ، دمشق،دار الكتاب العربي.
3) أحمد عبد الرازق احمد. (2006). الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمي. القاهرة،دار الحريري للطباعة.
4) الثويني علي ، (د.ت)، رمزية الأشكال وروحانياتها في العمارة والفنون. تم الاسترداد من
5) http://www.almadapaper.net/sub/03-627/p13.htm
6) الدرايسة محمد عبد الله، عدلي محمد عبد الهادي، (2014)، الزخرفة الإسلامية، عمان، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع.
7) الصبيحاوي حيدر فرحان، (2018)، "رمزية الفن الإسلامي"، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، جامعة بغداد، (67)، ص ص. 345- 382
8) العواوده حسن محمود عيسى، (2009)، فلسفة الوسطية الإسلامية والتجريد في العمارة الإسلامية حالة دراسية (الوحدات الزخرفية الإسلامية)، ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
9) العيني بدرالدين أبي محمد محمود بن أحمد. (2001). عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ضبط وتصحيح عبد الله محمود محمد عمر، بيروت، دار الكتب العلمية.
10) برواق آمال. (2012)، سيميولوجيا الفضاء ودلالة التمثلات المعمارية، دراسة تحليلية سيميولوجية لحي العربي بن مهيدي بقسنطينة ، رسالة ماجستير في سيميولوجبا الاتصال، جامعة الجزائر03 ، الجزائر.
11) بهنسي عفيف، (1998)، الفن الإسلامي، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
12) بن خيبش حميد ، (د.ت). حضارة الزهور والبساتين . تم الاسترداد من اسلام أون لاين: https://islamonline.net/%D8%AD%D8%B6%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B2%D9%87%D9%88%D8%B1-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B3%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D9%86%/
13) بوكرسي نادية. (2022). قراءة سيميولوجية في الزخارف المنفذة على المصنوعات النحاسية الجزائرية في العهد العثماني. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، المجلد 08 ، العدد 01، ص ص. 344- 369.
14) جبلاوي كمال محمود، (2009)، موسوعة الأفكار الرمزية بالعمارة المصرية بعد دخول الإسلام، مصر.

15) حلس عادل صبحي. (د،ت)، الدلالات الميتافيزيقية للزخرفة الإسلامية وسبل التعبير عنها في العمارة المعاصرة- نحو منطلقات فكرية جديدة لإحياء العمارة الإسلامية . تم الاسترداد من https://scholar.alaqsa.edu.ps/839

16) ديفل سميحة ، (2017)، "شجرة النخيل دلالتها ورمزيتها في الفنون الإسلامية"، مجلة دفاتر البحوث، جامعة معسكر، العدد 10، ص ص. 84- 99.

17) سالم، عبدالله نجيب. (2014). القباب من روائع العمارة الاسلامية. تم الاسترداد من :

18) https://islamstory.com/ar/artical/23835/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D8%B1%D9%88%D8%A7%D8%A6%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9

19) شعباني بدرالدين ، (2010)، المصنوعات المعدنية الجزائرية خلال العهد العثماني دراسة تقنية وفنية مقارنة ، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، الجزائر.

20) طيان شريفة، (2011)، الفنون التطبيقية الجزائرية في العهد العثماني، الجزائر، دار المعرفة.

21) عبد الفتاح حنان مطاوع ، (2010)، الفنون الإسلامية والإيرانية والتركية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية.

22) عبد المعطي عبده محمد عزة عبد المعطي، (2003)، الزخرفة على التحف الفنية في مصر الإسلامية حتى النهاية القرن الرابع هجري (العاشر ميلادي) المجلد01، دكتوراه في الآثار، قسم الآثار الإسلامية، جامعة القاهرة.

23) عابدين سارة، (2019)، ليست مجرد صدفة، الهندسة والرياضيات في الفن الإسلامي. تم الاسترداد من:
https://www.aljazeera.net/news/arts/2019/7/29/%D9%84%D9%8A%D8%B3%D8%AA-%D9%85%D8%AC%D8%B1%D8%AF-%D8%B5%D8%AF%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D8%B3%D8%A9

24) ماهر سعاد، (1977)، الخزف التركي، مصر، الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية.

25) مرزوق محمد عبد العزير، (1987)، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

26) نصر ثريا، (2002)، التصميم الزخرفي في الملابس والمفروشات، القاهرة، عالم الكتب.
27) هادي بلقيس محسن ، (1990)، تاريخ الفن العربي الإسلامي ،العراق، مطبعة دار الحكمة، بغداد .
28) ياسين عبد الناصر، (2002)، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر منذ الفتح حتى نهاية العصر العثماني (دراسة أثرية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة)، الإسكندرية، دار الوفاء.
29) ياسين عبد الناصر ، (2006)، الرمزية الدينية في الزخرفة الاسلامية(دراسة في. ميتافيزيقا. الفن الإسلامي)، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.